المبحث الأول

(أثر شخصية عمر بن الخطاب في تحقيق العدالة الاجتماعية)

1- **زهده**

2- **خوفه من الله**

3- **تواضعه**

4- **حلمه ورفقه**

5- **ورعه**

1- زهده

تعلم عمر بن الخطاب الزهد من سيد الزاهدين محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان يعلم مدى حقارة الدنيا ، يدرك رضي الله تعالى عنه المعنى الحقيقي وراء حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال :" لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء" [1] ، ويعلم تماما أن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا الذاكرين الشاكرين الحامدين الله كثيرا ، مصداقاً لقول النبي صلي الله عليه وسلم : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلم " [2] .

ولمعرفته رضي الله عنه بحقارة الدنيا فقد زهد فيها ، ورفض متاعها وملذاتها ، فمن صور زهده رضي الله عنه ، ما روي عن أبي عثمان النهدي أنه قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت عليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة بعضها بأديم أحمر [3] .

هذا عمر خليفة المسلمين لا يتورع في أن يلبث الثياب المرقعة ، التي يأنف أن يلبثها رجل منا الآن ، فلننظر إلى حال من يلي أمر المسلمين اليوم فقد سكنوا القصور وملكوا الضياع واعتزلوا الناس وعاشوا في منأى عن مشاكلهم ومتطلباتهم .

لقد رأى الناس عمر وهو بهذه الحالة من الفقر وضيق الحال ، فناموا نوم السعداء ولما لا يلتزمون سبيله وهم يرونه يذوق طعم الفقر مثله مثلهم ، لقد انعكس حال

---

(1) الترمذي : رقم 2320

(2) الترمذي : رقم 2322

(3) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط الاولي ، ج4 ، ص 141.

عمر على الرعية فرضوا بما قسمه الله لهم ، ولما لا يرضون وقد رأوا خليفتهم يرضى بأقل القليل من الملبس والمأكل والمشرب ، ويعيش بينهم كأقل واحد فيهم ، لذلك تحققت العدالة الاجتماعية في عهده تلك التي تأملها كل الشعوب الآن .

ومن صور ورعه أيضا أنه كان دائما يقول : ليتني لم أخلق ليتني لم أكن شيئا ، ليتني كنت نسياً منسياً [1]، وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة أنه قال : صحبت عمر بن الخطاب إلى مكة في الحج ، ثم رجعنا فما ضرب فسطاطاً ، ولا كان له بناء يستظل به ، إنما كان يلقي نطعاً أو كساء على سحره فيستظل تحته [2].إلا أننا اليوم نرى من اتخذ مدنا بأكملها مسكنا له ولأهل بيته .

عمر بن الخطاب زماناً لا يأكل من بيت المال شيئا،حتى دخلت عليه في ذلك روي عن سهل بن كعب أنه قال:مكث خصاصة ، وأرسل إلى أصحاب رسول الله فاستشارهم فقال : قد شغلت نفسي في هذا الأمر ، فما يصلح لي منه ؟ فقال عثمان كل وأطعم ،وقال لعلي:ما تقول أنت في ذلك؟قال غداء وعشاء فأخذ عمر بذلك[3].

هكذاكان عمر يسوس الناس ويحكمهم بغداء وعشاء ، ليس بمليارات وملايين استأثر بها من يلي أمر المسلمين اليوم لأنفسهم وذويهم ، وملئوا بها البنوك والمصارف في الداخل والخارج، ليتهم أخذوا ما أخذوا وساروا فينا بالعدل ، ليتهم سرقوا ما سرقوا، ولم يحرموا الناس من حقوقهم،ومن ثروات بلادهم ، لكنهم طغوا وتجبروا في الأرض وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، كما قال من قبلهم قارون،ففعل الله بهم كما فعل في المتجبرين،أذلهم وأسكنهم السجون،عوضا عن القصور والضياع

(1) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص141 .

(2) نفس المصدر ، ج4 ، ص 140 .

(3) نفس المصدر والصفحة.

،وتلك سنة الله في خلقه منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ، أن يهلك الظالم بظلمه .

وروي عن السائب بن يزيد قال ربما تعشيت عند عمر بن الخطاب فيأكل الخبز واللحم ثم يمسح يده على قدمه ثم يقول هذا منديل عمر وآل عمر ، وعن أنس قال كان أحب الطعام إلى عمر الثفل ، وأحب الشراب إليه النبيذ ، وما أدهن عمر بن الخطاب حتى قتل إلا بسمن أو إهالة أو زيت مقتت [1].

وروي عن سعيد بن محمد الثقفي عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال أتي عمر بلحم فيه سمنا فأبى أن يأكلهما: وقال كل واحد منهما أدم ، وعن أبي حازم قال دخل عمر بن الخطاب على حفصة ابنته فقدمت إليه مرقا باردا وخبزا وصبت في المرق زيتا فقال : أدمان في إناء واحد لا أذوقه حتى ألقى الله[2]،وروي أن عمردخل على رجل فاستسقاه وهو عطشان ، فأتاه بعسل فقال: ما هذا؟قال : عسل ، قال : والله لا يكون فيما أحاسب به يوم القيامة[3].

وعن يسار بن نمير قال : والله ما نخلت لعمر الدقيق قط ، إلا وأنا له عاص ، وعن السائب بن يزيد عن أبيه قال رأيت عمر بن الخطاب يصلي في جوف الليل في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم زمان الرمادة وهو يقول : اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء، يردد هذه

الكلمة قال أخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا زهير عن أبي عاصم الغطفاني عن يسار بن

---

(1) الطبقات الكبري لابن سعد: ج3 ، ص318.

(2) نفس المصدر : ج3، ص319.

(3) نفس المصدر : والصفحة.

نمير قال : ما نخلت لعمر الدقيق قط إلا وأنا له عاص ، وعن عياض ابن خليفة قال: رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون، ولقد كان أبيض فيقال : مم ذا ؟ فيقول:كان رجلا عربيا وكان يأكل السمن واللبن، فلما أمحل الناس حرمهما ، فأكل الزيت حتى غير لونه وجـــاع فأكـثر [1].

نظر عمر بعين الرأفة إلى الناس عام الرمادة ، ذلك العام الذي ذاق الناس فيه طعم الفقر والمجاعة والمرض ، فعز عليه حالهم ، وقرر أن يعيش عيشة أدنى من عيشتهم ، فرأى يوما ابنا له ممسكا بيده بطيخة فقال : بخ بخ يا بن أمير المؤمنين ، تأكل الفاكهة وأمة محمد هزلى ، فخرج الصبي هاربا باكيا فأسكته عمر بعد ما سأل عن مصدرها ، فقالوا : اشتراها بكف من نوى [2].

هذا الفعل من عمر لينم عن فكر واعي ، إذ إنه يخاف من نظرة الناس إليه وإلى أهل بيته، حتى لا يظن الناس أن خليفتهم ينعم هو وأبنائه ، في الوقت الذي يعاني الناس فيه من الجوع والفقر ، فرأى في أنه لابد أن يذوق هو وأهل بيته مما يذوقه الناس من الجوع والفقر حتى يكون هو ورعيته سواء في البلاء ، وهذا والله ضرب من ضروب العدالة الاجتماعية التي دشنها عمر في عصره .

ومن صور زهده في أموال الناس ما رواه ابن عباس ، أنه قال : "دعاني عمر بن الخطاب فأتيته ، فإذا بين يديه نطع به ذهب منثور ، فقال : هلم فقسم هذا بين قومك ، فالله أعلم حيث زوى هذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وأعطانيه لخير أعطانيه أم لشر ، قال : " فأكببت عليه أقسمه ، فسمعت البكاء فإذا صوت عمر

---

(1) نفس المصدر : ج3، ص 324.

(2) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج4 ، ص 140 .

يبكي ويقول في بكائه ، والذي نفسه بيده ما حبسه عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه إرادة لشر بهما ، وأعطاه عمر إرادة الخير [1]. فعمر يخاف من أن يفتح عليه الدنيا من متاعها وزخرفها وزينتها وملذاتها أن تهلكه ، إنها السريرة النقية الطاهرة العفيفة الزاهدة في الدنيا وما فيها .

وعن حال عمر مع الدنيا يصفه لنا الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان فيقول : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته ولم يردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن . [2]، ولما أتي بساوري كسرى وتاجه ، قال عمر : إن الذي أدى هذا لأمين فقال له رجل : يا أمير المؤمنين : أنت أمين الله ، يؤدون إليك ما أديت إلى الله تعالى ، فإن رتعت رتعوا [3].

وعز على الصحابة الكرام أن يروا خليفتهم يُضَيِّقُ على نفسه وعلى أهل بيته ، رغم أنه كان قبل الخلافة يعيش معيشة أفضل منها ، ولم يكن يحرم أهل بيته من شيء ، فكلموا ابنته حفصة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكلمه في ذلك فقالت له يا أمير المؤمنين : لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق ، وكان معها بعض الصحابة ، فقال لهم : أكلكم على هذا الرأي ؟ قالوا نعم ، قال : قد علمت نصحكم ولكني تركت صاحبيَّ على الجادة ، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل .[4]

---

(1) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 142.

(2) شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تاريخ الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ج3 ، ص 267.

(3) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج1 ، ص 31.

(4) الذهبي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 257.

لذلك انعكس هذا الفكر الخاص به على صورته وهيئته ، فإنك إن رمقت عمر للوهلة الأولى لم يخطر على بالك أبدا أن هذا هو أمير المؤمنين ، فقد ترى الفقير أحسن منه في ملبسه ومأكله وهيئته ، فيروي لنا الصحابي ابن الغادية الشامي فقال : قدم عمر الجابية على جمل أورق ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، قد طبق رجليه بين شعبتي الرحل بلا ركاب ، ووطاؤه كساء أنبجاني من صوف وهو فراشه إذا نزل ، وحقيبته محشوة ليفا ، وهي إذا نزل وساده ، وعليه قميص من كرابيس – أي قطن – قد دسم وتخرق جيبه ، فقال : ادعوا لي رأس القرية ، فدعوه له فقال : اغسلوا لي قميصي وخيطوه ، وأعيروني قميصا ، فأتى بقميص من كتان فقال : ما هذا ؟ قيل كتان ، قال : وما الكتان ؟ فأخبروه فنزع قميصه فغسلوه ورقعوه ولبسه ، فقال له رأس القرية : أنت ملك العرب وهذه البلاد لا تصلح فيها الإبل ، فأتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل ، فلما سار هنيهة قال : إحبسوا ! ما كنت أظن الناس يركبون الشيطان ، هاتوا جملي . [1]

ودخل يوما على ابنه عاصم فوجده يأكل لحما فقال : ما هذا ؟ قال قرمنا [2] إليه ، قال أو كلما قرمت إلى شيء أكلته ، كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى [3].

وروي أنه اشتهى يوما لأكل السمك فقال لخادمه يرفأ ، لقد خطر على قلبي شهوة السمك الطري ، فقال له يرفأ أنا آتيك به ، فانطلق يرفأ براحلته وسار يبحث له عن السمك ، فراح أربعا مقبلا ومدبرا ، حتى وجده فاشترى له مكتلا ، فأتى به عمر ، وغسل راحلته من العرق فأتى عمر فقال له ، لما وجده تأخر انطلق حتى نرى الراحلة ،

---

(1) نفس المصدر ، ج3، 269.

(2) شدة الشهوة إلي اللحم

(3) الذهبي المصدر السابق ، ج3 ، ص 268.

فنظر إليها فوجده قد غسلها من العرق إلا تحت أذنها ، فقال له : نسيت أن تغسل هذا العرق ، عذبت بهيمة في شهوة عمر ، لا والله لا يذوق عمر مكتلك .[1]

هذه السريرة النقية التي تخاف المولى عز وجل من أن يسأله عن بهيمة عذبها من أجل شهوته ، لهي صفات المؤمنين المتقين الذين يهابون الله في كل كبيرة وصغيرة ، فما بالنا نحن الآن بحكام المسلمين ، الذين لم يسخروا البهائم في قضاء حوائجهم ، بل سخروا الناس أيضا ، فلا يعبئون بمشاعر الناس ولا يعاملونهم علي أنهم آدميين ، فرحم الله عمر الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في العفة والزهد ، ليكون نبراسا لمن يريد أن ينهج نهجه.

وروي عن أنس بن مالك أنه قال : تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة ، وكان قد حرم نفسه السمن، قال : فنقر عمر بطنه بإصبعه وقال : إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس [2].

وروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال : لبس عمر قميصا جديدا ، ثم دعاني بشفرة ، فقال حِدَّ يا بني كم قميصي ، والزق يديك بأطراف أصابعي ، ثم اقطع ما فضل عنها ، فقطعت من الكمين من جانبيه جميعا ، فصار في الكم بعضه فوق بعض ، فقلت له : يا أبتي لو سويته بمقص ؟ فقال دعه يا بني هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فما زال عليه حتى تقطع ، وكان ربما رأيت الخيوط تساقط على قدمه . [3]

---

(1) نفس المصدر والصفحة .

(2) الذهبي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 273.

(3) أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني : حلية الأولياء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج1 ، ص 45.

وجلس ذات يوم يخبر الناس عن سبب زهده في الدنيا فقال : والله إني لو شئت لكنت من ألينكم لباسا ، وأطيبكم طعاما ، وأرقكم عيشا ، إني والله ما أجهل عن كراكر واسنمة ، وعين صلاء ، ولكني سمعت الله عز وجل عير قوما بأمر فعلوه فقال : أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها . [1]

وقدم عليه وفد من أهل العراق ، فرأى أنهم يأكلون الطعام الطيب ، فقال يا أهل العراق، لو شئت أن يدهمق لي كما يدهمق لكم ، ولكنا نستبقي من دنيانا ما نجده في آخرتنا [2]. ووضع أمامه خبز وزيت فجعل يأكل منه ويمسح بطنه ويقول : والله لتموتن أيتها البطن على الخبز والزيت ما دام السمن يباع بالأواق [3] ، وتأخر يوما على الناس في خطبة الجمعة ، فلما صعد المنبر اعتذر إلى الناس فقال : إنما حبسني قميصي ، هذا لم يكن لي قميص غيره كان يغسل ، وفي روايه أخرى كان يخاط لي [4] .

ويا ليته قميص جديد يليق بخليفة وحاكم المسلمين ، كنا قد عذرنا أنفسنا ، إلا أنه كان قميصا رثا باليا ، يتعفف المرء منا اليوم أن يلبثه ، يقول عبد الله بن عمر يصف قميص أبيه فقال : رأيت أبي يرمي الجمرة وعليه إزار به اثنتا عشرة رقعة، بعضها من أدم وإن منها ما قد خيط بعضه على بعض،إذا قعد ثم قام انتخل منها التراب [5].

---

(1) نفس المصدر ، ج1 ، ص 49.

(2) الاصفهاني : المصدر السابق ، ج1 ، ص 49.

(3) أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي : مناقب عمر بن الخطاب ، القاهرة ، دار بن خلدون ، ص 76.

(4) نفس المصدر ، ص 132.

(5) نفس المصدر والصفحة

إننا لا نجد ما نقوله حياء من عمر الذي أتعب نفسه وأتعب من جاء بعده ، فنحن لا نتكلم هنا عن حكاما بل نتكلم على المستوى الشخصي ، فإن المرء منا لديه من الثياب الكثير ، والطعام الذي يأكله في الصباح لا يأكله بالليل ، وفتح الله علينا الدنيا بكل ما فيها من ملذات ، ومع ذلك تجدنا ساخطين غير راضين عن ما قسمه الله لنا ، حتى سخط الله علينا ، وأرسل إلينا من يسومنا سوء العذاب ، ومن يأكل ثرواتنا وحقوقنا، فلو انصلح حالنا مع الله.

لانصلح حال الراعي والرعية معا ، وأرسل الله إلينا من يصلح حال البلاد والعباد .

نعود إلى عمر الذي أتي إليه يوما بشراب عبارة عن ماء به عسل ، فذاقها فقال : اعزلوا مني حسابها ، اعزلوا مني مؤنتها [1] ، لقد حرم نفسه رضي الله عنه من متاع الدنيا من أجل ما ينتظره من جزاء يوم القيامة ، فهو القائل : " والذي نفسي بيده لولا تنقص حسناتي لخالطتكم في لين عيشكم " [2].

وعن الحسن رضي الله عنه قال : ما أكل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إلا مغلوثا بشعير حتى لحق بالله ، وهو القائل أيضا : نحن أعلم بلين الطعام من كثير من آكليه ، ولكنا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها . [3]

وقال أبو عمران : والله ما كان يصيب من الطعام هو وأهل بيته إلا تقوتا ، ودخل يوما على أهله وقد أصابه الجوع فقال : عندكم شيئا ؟ فقالت امرأته : تحت السرير ، فتناول إنائا به تمر فأكل ثم شرب من الماء ، ثم مسح بطنه فقال : ويح لمن أدخله بطنه

(1)ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص 134.

(2) نفس المصدر ، ص 135.

(3) نفس المصدر والصفحة .

النار ، لولا مخافة الحساب لأمرت بحمل يشوى لنا بالتنور [1].

وجلست ابنته حفصة يوما ترمقه بعين الرحمة والشفقة ، تحار الدموع في عينيها وهي تنظر إلى حال أبيها ، فقد اسود وجهه من أكل الزيت ، ونحل بدنه ، وبليت ملابسه ، جلست تنعي حاله الذي تدنى إلى مرتبة أدنى من حال فقراء المدينة ، فعز عليها أن ترى أبيها وقد عذب نفسه بهذه الطريقة ، فقالت له على استحياء: وهي تعلم رده مسبقا : يا أمير المؤمنين : لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك هذا ، وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك ، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير ، فقال : يا بنيتي إني سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله يلقى من العيش ؟ فما زال يذكرها حتى بكت ، فقال لها : أما والله لئن قلت ذلك لمكاني ،والله إن استطعت لأشاركهما في مثل عيشهما الشديد ، لعلي أدرك معهما عيشهما الرضي ، أناشدك الله ما أفضل ما اقتنى رسول الله في بيتك من الملبس ؟ قالت : ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفود ويخطب فيهما الجمع ، قال فأي الطعام ناله عندك أرفع ؟ قالت : خبزنا خبزة شعير وصببنا عليها وهي حارة أسفل عكة لنا ، فجعلتها هشة ودسمة وحلوة فأكل منها وتطعم منها استطابة لها ، قال فأي مبسط عندك كان أوطأ ؟ قالت كساء لنا ثخين كنا نربعه في الصيف فنجعله ثخينا فإذا كان الشتاء ابتسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه ، فقال لها يا حفصة إنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة نفر سلكوا طريقا ، فمضى الأول وقد تزود زادا فبلغ ، ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ، ثم اتبعهما الثالث ، فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما ، وكان معهما وإن سلك غير طريقهما لم يكن معهما أبدا . [2]

---

(1) المصدر السابق ، ص 135.

(2) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص 136-137.

ومن صور العدالة الاجتماعية التي لاحظناها في حياة عمر وزهده ، هو أن مأكله كان دون مأكل عامة الناس ، وفي ذلك يقول حذيفة بن اليمان : أتى ضيفا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبين يدي أمير المؤمنين أناس كثيرون يأكلون اللحم في القصاع ، فقال دعاني عمر إلى طعامه ، فدعى بخبز غليظ وزيت فقلت : امنعتني أن أكل الخبز واللحم،ودعوتني إلى هذا ؟ قال:إنما دعوتك على طعامي فأما هذا فطعام المسلمين . [1]

وَقُدِّمَ إليه شرابا فجعل يدير الإناء في كفه فيقول : اشربها وتذهب حلاوتها وتبقى مرارتها ثم دفعها إلى رجل من القوم فشربها [2] ، وقال عتبة بن فرقد : قدمت على عمر رضوان الله عليه بسلال خبيص وهو نوع من الطعام الجيد ، فقال : ما هذا ؟ فقلت طعام أتيتك به فقال : تقضي حاجات الناس أول النهار فأحببت إن رجعت أن ترجع إلى طعام فتصيب منه فيقويك،قال :فكشف عن سلة منها ، فقال:عزمت عليك يا عتبة إذا رجعت إلا رزقت كل رجل من المسلمين مثله ، فقال : والذي يصلحك يا أمير المؤمنين لـو

أنفقت مال قيس كلها ما وسع ذلك ، قال : ولا حاجة لي فيه ، ثم دعا بقصعة من خبز جريش ولحم غليظ ، وهو يأكل معي أكلا شهيا ، فجعلت أهوي إلى القصعة البيضاء أحسبها سناما فإذا هي عصبة ، والبضعة من اللحم أمضغها فلا أصيغها ، فإذا غفل عني جعلتها بين الخوان والقصعة ، ثم دعا بخل فقال : اشرب فأخذته وما أكاد أسيغه ثم أخذه فشرب ، ثم قال اسمع يا عتبة إننا ننحر كل يوم جزورا ، فأما ودكها وأطيبها فلمن حضرنا من آفاق المسلمين ، وأما عنقها فلآل عمر ، يأكل هذا اللحم الغليظ ، ويشرب هذا

---

(1) نفس المصدر ، ص 138.

(2) نفس المصدر والصفحة .

الشراب الشديد قطعه في بطوننا [1].

وهو القائل أيضا : نظرت في هذا الأمر ، فجعلت إن أردت الدنيا أضر بالآخرة ، وإن أردت الآخرة أضر بالدنيا ، فإذا كان الأمر هكذا فأضر بالفانية . [2]

على أية حال هذه كانت حياة خليفة المسلمين ، صحابي جليل من أصحاب رسول الله ، تربى على يديه ، ونهل من علمه ، وصار نجما يسطع وينير حياة كل قاصد للمعرفة والهداية ، وصار مثالا يحتذى به في كل العصور والأزمان ، فقد كان عمر يحكم خلافة مترامية الأطراف شرقا وغربا ، ورغم ذلك كان يعيش عيشة الفقراء ، يأكل دون طعامهم، ويلبس دون لباسهم ، يشعر بما يشعرون به من ألم المرض والجوع والفقر ، فشعر الناس في عهده بالرضى والقناعة ولما لا يشعرون بذلك، وهم يرون أميرهم يعيش هذه المعيشة ، ويحياهذه الحياةالصعبة،رغم أنه كان باستطاعته أن يعيش في رفاهية هو وأهلبيته .

إن ما يجعل الشعوب تخرج على حكامها ، أنهم يرون الحكام يستأثرون بالأموال دونهم ، ولا يجدون عدلا ولامساواة في توزيع الثروات ، ويحرمون أبناء شعوبهم من خيرات بلادهم، فيزداد الأغنياء غنا والفقراء فقرا ، فتزداد الفجوة بين الناس ، ويشعر الناس بالذلة والقهر وغياب العدالة الاجتماعية ، لقد استطاع عمر بزهده وعفته عن أموال المسلمين ، أن يحقق المعادلة الصعبة ، ويحقق العدالة الاجتماعية التي يصبوا اليها كل فرد في المجتمع.

---

(1) المصدر السابق ، ص 140.

(2) نفس المصدر ، ص 137.

2- خوفه من الله

إن خشية الله عز وجل في الأمور كلها ، تجعل الإنسان يميل إلى الحق دائما ، وكان هذا دأب عمر بن الخطاب ، فخوفه الشديد من الله جعله يسير بالحق والعدل بين الرعية ، وهذا انعكس بشكل كبير على الحياة في عهده ، فشعر الناس بالعدالة الاجتماعية ، فالمساواة بين الناس ، والمساواة في توزيع الغنائم ، والمساواة في الحقوق والواجبات ، كل ذلك تحقق بسبب خوف عمر الشديد من الله ، وذلك هو الذي أدى بدوره إلى تحقيق ما يصبوا إليه الناس من عدالة اجتماعية .

ولقد بلغ الخوف الشديد من الله من قبل عمر إلى أنه كان يقول : ليتني لم أخلق ، ليت أمي لم تلدني ، ليتني لم أكن شيئا ، ليتني كنت نسيا منسيا [1] .

وهو القائل أيضا لو مات جمل ضائعا على شط الفرات ، لخشيت أن يسألني الله عز وجل عنه [2] ، بل كان يدخل يده في دبرة البعير وهي مريضة ، ويقول : إني لخائف أن أسأل عما بك . لقد بلغ الخوف الشديد من الله بعمر إلى خوفه من أن يسأله الله عن دابة ضاعت بشط الفرات ، أو دابة تتألم من المرض ، فما بالك بالرعية التي استخلفه الله عليها .

وعندما بلغته الوفاة جمع أبنائه فقال لابنه عبد الله: يابني ضع خدي على الأرض

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج4 ، ص 141. وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج2 ، ص451.

(2) ابن الجوزي : نفس المصدر والصفحة .

فوضعه ثم قال : ويل لي وويل أمي إن لم يرحمني ربي [1] ، وقد كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد منها أياما [2] .

وقال أنس : خرجت مع عمر بن الخطاب مدخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار: عمر بن الخطاب والله لتتقين الله بني الخطاب أو ليعذبنك ، بل حاول أن يؤدب نفسه عندما دخل في نفسه شيء فحمل قربة من ماء على عنقه ، وأخذ يسقي الناس في الطرقات ، فقيل له في ذلك فقال : إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها . [3]

فهذه هي صفة المؤمنين الذين يخشون الله في كل شيء ، هذا الخوف انعكس بشكل كبير على شخصية عمر بن الخطاب ، وانعكس بدوره على الرعية ، فإذا استقام الإمام استقامت الرعية . وقد كان رضي الله عنه دائما وأبدا يحث الناس على الخشية من الله ، لأنه أسلم لدينهم ودنياهم ، وقد كان الرعية يرون ذلك عمليا في عمر فيقول ابنه عبد الله : صليت خلف عمر فسمعت حنينه وبكائه من وراء ثلاثة صفوف ، وقد كان ينصح الناس قائلا لهم : أيها الناس زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ، فإن أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم ، وتزينوا للعرض الأكبر [4].

وكان من شدة خشيته لله ومحاسبته لنفسه يقول: لو مات جدْي بطف[5] الفرات

---

(1) الذهبي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 282.

(2) نفس المصدر ، ج3 ، ص 270.

(3) نفس المصدر والصفحة .

(4) الأصفهاني : المصدر السابق ، ج1 ، ص52.

(5)طف–شاطئ .

لخشيت أن يحاسب الله به عمر[1]، وعن علي رضي الله عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: بعير ندَّ[2] من إبل الصدقة أطلبه فقلت: أذللت الخلفاء بعدك، فقال يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقا أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة[3].

وعن سالم بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب كان يقول: والله ما نعبأ بلذات العيش أن نأمر بصغار المعزى أن تسمط[4] لنا، ونأمر بلباب[5] الخبز فيخبز لنا، ونأمر بالزبيب فينبذ لنا في الأسعان[6] حتى إذا صار مثل عين اليعقوب[7]، أكلنا هذا وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقي طيباتنا، لأنا سمعنا الله يقول: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا) ، وعن أبي عمران الجوني قال: قال عمر بن الخطاب لنحن أعلم بلين الطعام من كثير من آكليه، ولكنا ندعه ليوم (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلَهَا).

ومن دلائل خوفه من الله أنه كان يتمنى أنه لم يكن بشرا ، حتى لا يقف أمام الله في الحساب ، فيحاسبه على ما استخلفه الله عليه من العباد والبلاد ، فكان يقول : " ليتني كنت كبش أهلي يسمنوني ما بدالهم ، حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم

---

(1)مناقب عمر لابن الجوزي ،ص160.

(2)نفس المصدر ، ص 161.

(3)السمط: سمط الجدي: سمطه: نتف صوفه بالماء الحار.

(4) اللباب: الخالص من كل شيء.

(5) الأسعان: جمع سعن، والسعن: قربة تقطع من نصفها وينتبذ فيها

(6) اليعقوب: الحجل.

(7) مناقب عمر لابن الجوزي ص137.

بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ، ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أكن بشرا . [1].

وكان كلما هلَّ على الناس يقول لهم والدموع تملئ عينه وجبينه يقطر عرقا : والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله من قبل أن أراه [2] ، ودخل عليه يوما ابن عباس رضي الله عنهما ، عندما طعن عمر بن الخطاب فقال له : أبشر يا أمير المؤمنين ، فإن الله قد مَصَّرَ بك الأمصار ، ودفع بك النفاق ، وأفشي بك الرزق ، فقال له : أفي الإمارة تثني علي يابن العباس ، فقلت وفي غيرها ، قال والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر [3] .

وكان رضي الله عنه دائما ما يتضرع إلى الله بهذا الدعاء ، فيقول : اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط [4] .

حتى فرق بينهم ، ثم قال : يا فلان قلت : لبيك ، قال : لا لبيك ولا سعديك ، ألم آمرك أن تتخذ حياضا للرجال وحياضا للنساء ، قال : ثم اندفع فلقيه علي وهو يلوم نفسه ، فقال له عليّ ما بك يا أمير المؤمنين ؟ فقال أخاف أن أكون قد هلكت ، قال : ما أهلكك ؟ قال : يا أمير المؤمنين أنت راعي من الرعاة فإن كنت ضربتهم على غش فأنت الظالم المجرم [5].

بل كان يبرء إلى الله تعالى من أعمال ولاته التي قد تخالف الشرع ، ويشعر بأنه المذنب

---

(1) الاصفهاني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 52.

(2) نفس المصدر والصفحة .

(3) نفس المصدر والصفحة .

(4) نفس المصدر ، ج1 ، ص 54.

(5) ابن الجوزي : مناقب عمر ابن الخطاب ، ص 153 .

في ذلك ، ويخاف الله من أن يسأله عنه ، فروي أن عاملا له أمر رجلا أن ينزل في واد لينظر كم عمقه ، فقال له الرجل إني أخاف ، فعزم عليه فنزل، إلا أنه مات على أثر ذلك ، فلما بلغ ذلك عمر ، بعث في طلب الوالي ، فقال له : أما والله لولا إني أخاف أن تكون سنة بعدي لضربت عنقك ، ولكن لا تبرح حتى تؤدي دينه ، والله لا أوليك أبدا [1].

وروي أنه لما أتاه فتح تستر ، قال : هل كان شيء ؟ قالوا : نعم ، رجل ارتد عن الإسلام ، قال فما صنعتم به ، قلنا : قتلناه ، قال : فهلا أدخلتموه بيتا وأغلقتم عليه ، وأطعمتموه كل يوم رغيفا فاستتبتموه فإن تاب وإلا قتلتموه ، ثم قال : اللهم إني لم أشهد ولم آمر ولم أرض إذ بلغني . [2]

وكان عندما توقد أمامه النار يمد يده ويقربها منها ويقول : "يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر" [3] ، بل كان يخاف من الله أن يكون يستدرجه لما هو شر له ، فعندما بلغه كنوز كسرى جلس يبكي ويقول : اللهم إنك منعت رسولك ونبيك وكان أحب إليك مني ، وأكرم عليك مني ، ثم أعطيتنيه ، فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي،ثم بكى حتى رحمه من كان عنده،ثم أمر ابنه عبد الله أن يقسمه في الناس.[4]

ولما رآه الصحابة يبكي بحرقة على هذا قالوا له : أتبكي وقد فتح الله عليك وأظهرك على عدوك ، وأقر عينك فقال عمر : إني سمعت رسول الله يقول : لا تفتح

---

(1) نفس المصدر ، ص 77.

(2) المصدر السابق ص177 .

(3) نفسالمصدر،ص154.

(4) نفس المصدر ، ص 155.

الدنيا على أمة إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وأنا أشفق من ذلك [1] ، ونحن إذ نرى هذا الخوف الشديد من قبل عمر ، من أن تدركه الدنيا بما فيها من متاع فيهلك مثلما هلك من قبله ، كقارون وفرعون ، لحري بنا أن نتقي الله عز وجل ، وأن نسير بسيرته ونخاف من الله كخوفه ، وأن نقنع بالقليل كقناعته .

وكان رضي الله عنه لا يفرح بمن دخل عليه بمال أو شيء من متاع الدنيا ، فقد دخل عليه يوما ابن عباس بمال ، فنشج عمر وبكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : يابن عباس ، وددت أن أنجو من كفافا لا لي ولا علي . [2]

فهو ينظر هنا رضي الله تعالى إلى المال على أنه وسيلة للعيش فقط ، وذلك دعوة منه رضي الله عنه ، إلى جميع الأمة بأن لا نتسابق على جمع المال ، وأن نكتفي منه بالقليل الذي يعيننا على متاعب الحياة . ومن وصاياه رضي الله تعالى عنه للأمة في هذا الشأن ، أنه قال: " من خاف الله لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله تعالى لم يضيع ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون [3] .

ولشدة خوفه من الله كان يسأل الناس دائما عن حاله ، أيسير على الطريق القويم أم أنه يخالف شرع الله ، فقال يوما لحذيفة بن اليمان : نشدتك بالله وبحق الولاية عليك كيف تراني ؟ قال : ما علمت إلا خيرا ، فنشده الله فقال : إن أخذت مال الله فقسمته في ذات الله فأنت أنت ، وإلا فلا ، فقال : والله إن الله ليعلم ما آخذه إلا حصتي ، ولا آكل إلا وجبتي ولا ألبس إلا حلتي [4] .

---

(1) نفس المصدر والصفحة .

(2) نفس المصدر ص 157.

(3) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص 157.

(4) نفس المصدر ، ص 158.

بل بلغ من خوفه الشديد من الله ، أنه كان يطوف بالبيت ويبكي ويقول : اللهم إن كنت كتبتنا عندك في شقوة وذنب ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب فاجعلها سعادة ومغفرة . [1]

وكان عمر يتورع أيضا من أن يقول الناس بأنه يحابي أقربائه ، ويفضلهم عن الناس ، فروي أن رجلا كان بينه وبين عمر قرابة ، فسأله فزبره عمر وأخرجه ، فكُلم فيه ، فقيل يا أمير المؤمنين : فلان سألك فزبرته وأخرجته ، فقال : إنه سألني من مال الله ، فما معذرتي إن لقيته يوم القيامة ملكا خائنا ، فلولا سألني من مالي ، قال : فأرسل إليه بعشرة آلاف [2]

كما كان رضي الله تعالى عنه يقول للناس : أكثروا من ذكر النار ، فإن حرها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامها حديد ، وجائه ذات يوم أعرابي فوقف عنده فقال :

ياعمر الخير جزيت الجنة جهِّز بُنيَّاتي وأمهنه

أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر : فإن لم أفعل ماذا يكون يا أعرابي . قال

أقسم إني سوف أمضينه

قال : فإن مضيت ماذا يكون يا أعرابي ؟ قال

والله عن حالي لتسألنه يوم تكون الأعطيات مِنَّه

والواقف المسئول بينهنه إما إلى نار وإما الجنة

فبكى عمرحتى أخضلت لحيته بدموعه ، ثم قال : يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك

---

(1) المصدر السابق ، ص 159.

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج4 ، ص 203.

اليوم والله ما أملك غيره [1]. هكذا خاف عمر خوفا شديدا من الله ، بعد أن ذكره الرجل بيوم القيامة وبالجنة والنار،فعلى الرغم من أنه يسير فيهم بالعدل إلا إنه يخاف من عذاب الله يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وقد بلغ من شدة خوفه من الله أنه كان يجلس يحاسب نفسه على خفقة قد يكون خفقها لأحد بدرته ظلما ، فيخاف أن يسأله الله عنها ، فروي أنه كان مشغولا ذات يوم ببعض أمور المسلمين ، فجاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين : انطلق معي فأعني على فلان فإنه ظلمني ، فرفع عمر درته فخفق بها رأس الرجل ، وقال : تتركون عمر وهو مقبل عليكم ، حتى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتموه ، فانصرف الرجل وهو غاضبا ، فلما فرغ من الناس ، قال عمر : عليَّ بالرجل ، فلما اعادوه ألقى عمر الدرة إليه ، وقال أمسك بالدرة ، وأخفقني بها كما خفقتك بها ، قال الرجل : لا يا أمير المؤمنين أدعها لله ولك ، قال عمر : ليس كذلك ، إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثواب ، أو تردها عليَّ فأعلم ذلك ، فقال الرجل ، ادعها لله يا أمير المؤمنين ، وانصرف الرجل أما عمر فقد مشي حتي دخل بيته ، ومعه بعض الناس منهم الأحنف بن قيس ، فصلي ركعتين ثم جلس يقول : يابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله ، وكنت ضالا فهداك الله ، وكنت ذليلا فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس ، فجاء رجل يستعديك فضربته ، ما تقول لربك غدا إذا رأيته ، فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه خير أهل الأرض . [2] ودخل يوما السوق فوجد رجلا يدعى سلمة واقفا في الطريق ، فضربه بالدرة ضربة أصابة طرف ثوبه آمرا إياه بإفساح

(1) الصلابي ، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب ، ص 138.

(2) يوسف بن الحسن الدمشقي الحنبلي ، محض الصواب في فضائل امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الرياض ، 2000م ، ج2، ص 502.

الطريق ، فمضى عام على الحادثة ، فقابله في الطريق فقال له: يا سلمة أردت الحج ؟ فقلت نعم يا أمير المؤمنين ، فأخذ بيده فدخل بيته فأعطاه كيسا به ستمائة درهم ، قائلا له : استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك إياها عام أول ، فقال سلمة : والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها ، فقال عمر:أنا والله ما نسيتها بعـد.[1]

وروى أن عمر بن الخطاب استعمل بشر بن عاصم بن سفيان الثقفي على صدقات هوازن فتخلف عنها ولم يخرج فلقيه فقال : ما خلفك أما ترى أن عليك سمعا وطاعة قال : بلى ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " من ولي من أمور المسلمين شيئا أتي به يوم القيامة حتى يقف على جسر جهنم فإن كان محسنا نجا وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيها سبعين خريفا " قال : فخرج عمر كئيبا حزينا فلقيه أبو ذر فقال : ما لي أراك كئيبا حزينا قال : ما يمنعني أن أكون كئيبا حزينا وقد سمعت بشر بن عاصم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " من ولي من أمور المسلمين شيئا " . وذكر الحديث فقال أبو ذر : وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال عمر : من يأخذها مني بما فيها فقال أبو ذر : من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض ؛ شقت عليك يا عمر قال : نعم ".

هذه الصفات النبيلة التي توفرت في عمر بن الخطاب ، والتي رآها الرعية فيه كانت كفيلة بأن تجعلهم يشعرون بالآمان في حياتهم ، لأن حاكمهم يمشي فيهم بالعدل، فها هو يعاقب نفسه بسبب خفقة بسيطة لم يشعر بها من خفقه بها ، ويحاسب نفسه على بهيمة عثرت بأرض العراق ، ويخاف أن يسأله الله عنها لما لم تمهد لها

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 244.

(2) اسد الغابة ج1،ص117

الطريق ، أين حكام المسلمين اليوم من هذه الأخلاق ، فكم من المسلمين قتلوا بسببهم ماتوا في المعتقلات والسجون ظلما وعدوانا، كم من حقوق سلبت وأموال انتهبت ،وكم من بيوت للمسلمين خربت وحرمت من عائلها ، ألم يعلم هؤلاء المسئولون أنهم مسئولون أمام الله .

فعمر بن الخطاب رغم أنه كان عادلا زاهدا ورعا متعففا عن أموال الناس ، إلا أنه كان دائما يرى نفسه مقصرا في جنب الله ، مقصرا في حق رعاياه ، فماذا يقولون هؤلاء المقصرين يوم القيامة لرب العزة ، عن أموال سرقوها وأطفال يتموها ونساء رملوها . ماذا يقولون لربهم عن طرق لم يمهدوها فتكون سببا في حصد الكثير من الأرواح كل يوم من الشعب الكادح الذي كلما خرج كل يوم لا يدري أيعود إلي أسرته أم لا ، فالطرق اليوم محفوفة بالمخاطر ، تحت مرأى ومسمع المسئولين ، ولا يحركون ساكنا أمام الدماء التي تسيل كل يوم على أرصفة الطرق من أقصى البلاد إلى أقصاها .

تواضعه

التواضع هو خلق من الأخلاق النبيلة التي دعى إليها الإسلام ، وحث عليها الشرع الحنيف ، وهو من الأخلاق التي ترفع الإنسان إلى مراتب عالية عند الله ، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفوا إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

وخلق التواضع هو من الأخلاق الحميدة التي كان يتسم بها عمر بن الخطاب ، والتي جعلت الناس تلتف حوله ، وتكن له كل احترام وتقدير ، فرغم أنه كان خليفة المسلمين ، إلا أنه كان لا يجد غضاضة في النزول عن رأيه كحاكم عندما يرى نفسه مخطئا ، فحدث أن خطب الناس يوما فقال : أيها الناس ما إكثاركم في صدقات النساء ، فقد كان رسول الله وأصحابه رضوان الله عليهم يقللون ، وإنما الصدقات ما من أربعمائة درهم فما دون ، ولو كان الإكثار في ذلك تقوي أو في مكرمة لم

يسبقوهم إليها ، فلا عرفت ما زاد رجل في صداق إمرأة على أربعمائة درهم ، ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين أنهيت الناس أن يزيدوا النساء صدقاتهن على أربعمائة درهم ، قال : وما ذاك قالت : أما سمعت قول الله عز وجل " وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا " فقال : اللهم اغفر، كل إنسان أفقه من عمر " [1] ، ورجع عن رأيه ونزل على رأي المرأة .

كما كان يعلم أن العز كل العز في الإسلام ، وأنه لولا الإسلام لما كان لنا شأن على الإطلاق ، وتجلى ذلك في صنيعه عندما قدم الشام على أبي عبيدة بن الجراح ، فلم يذهب في موكب عظيم كمواكب الحكام الآن ، بل ذهب بحمار له وخادم ، فعرضت عليه مخاضة بها ماء ووحل ، فنزل عن دابته ، وأمسك بنعله تحت إبطه وشمر عن قدمه ، وخاض الوحل، فقال له أبو عبيدة لما رآه هكذا : لقد صنعت صنيعا عظيما عند أهل الأرض ، فصك عمر بن الخطاب صدره قائلا ، أوه لو قالها غيرك ، إنكم يا أبا عبيده كنتم أذل الناس وأخطر الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله [2].

---

(1) ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص 142.

(2)ابنالجوزي،السابق،ص143.

ولما دخل الشام أخذ الناس في استقباله ، وهو على بعيره ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم ، فقال : لا أراكم ههنا إنما الأمر من ههنا وأشار بيده إلى السماء خلوا جملي [1].

ورغم ما وصل اليه رضي الله عنه من عز ومكانة إجتماعية كبيرة كخليفة للمسلمين ، إلا أنه كان يرى نفسه دائما وضيعا في جنب الله ، ولم ينس يوما الوضع الذي كان عليه قبل أن يكون خليفة ، فقد روي عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال : خرجنا مع عمر في حج أو عمرة حتى مر بشعاب ضجنان فالتفت إليها فقال : لقد رأيتني في هذه الشعاب في إبل للخطاب وكان فظا غليظا ، احتطب مرة على ظهري واحتطب عليها أخرى ثم أصبحت اليوم تضرب الناس تحياتي ، ليس فوقي أحد ثم تمثل بهذا القول

لاشيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المال والولد [2]

لقد أحب عمر أن يظهر للناس جميعا دون وجل ، ودون حياء ماذا كان عمر فيما مضى ، وكيف صار الآن ، وهذا التصرف من قبله يجعل رعاياه يكنون له كل احترام وتقدير ، فليس بالأمر الذي يشين صاحبه ، فصنيع عمر هذا ليس انقاصا من شأنه ، بل رفعة له في الدنيا والآخرة ، فقد كان يعلم أنه من تواضع لله رفعه الله .

ومن صور تواضعه أن هيئته كانت لا تدل أبدا على أنه خليفة للمسلمين ، وذلك أنه كان لا يتميز عن الناس في مأكل ولا ملبس ،فكان يلبس كما يلبسون ، ويأكل طعاما أدنى من طعامهم ، لذلك عندما جاء البشير بفتح القادسية ، وكان عمر كل يوم يصعد على جبل خارج المدينة ، ينتظر البشير من سعد بن أبي وقاص ، وفي يوم

---

(1) نفس المصدر ، ص 144.

(2) المصدر السابق ، ص 145.

لاحظ فارسا يأتي مسرعا على جواده وكان لا يعرف عمر ، فحاول عمر أن يستوقفه ليسأله عن أحوال المسلمين ، إلا أن الفارس قال له دعك عني حتى أخبر أمير المؤمنين ، وتركه الفارس مسرعا وعمر يهرول خلفه إلى أن دخلوا المدينة ، فإذا بالناس يسلمون على عمر بإمرة المؤمنين ، فقال الرجل : هلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ، فقال له عمر : لا عليك يا أخي . [1]

بل كان دائما ما يصد مادحيه اعتقادا منه رضي الله عنه أنه أوضع من ذلك ، وأنه لا يستحق هذا الثناء ، فروي أن نفرا قالوا له يوما : والله ما رأينا رجلا أفضى بالقسط وأقول بالحق ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين ، فأنت خير الناس بعد رسول الله ، فقال عوف بن مالك : كذبتم والله لقد رأيت بعد رسوله الله فقال من هو ؟ قال أبو بكر ، فقال عمر : صدق عوف وكذبتم والله ، لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك ، وأنا أضل من بعير أهلي ، يعني قبل أن أسلم ، لأن أبو بكر أسلم قبله بست سنوات [2] .

وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال : نادى عمر في الناس: الصلاة جامعة ، ثم جلس على المنبر ، فما تكلم حتى امتلئ المسجد بالناس ، وظن الناس أن هناك أمرٌ جلل ، إلا أنهم فوجئوا بعمر يقول : الحمد لله تعالى لقد رأيتني أؤاجر نفسي بطعام ، ثم أصبحت على ما ترون، فلما نزل قيل له:ما حملك على ذلك ؟ قال : إظهار الشكر.[3]

وعندما أثنى عليه رجلٌ نهره قائلا : أتهلكني وتهلك نفسك ، وجاءت وفود فارس

---

(1) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص150.

(2) المصدر السابق : ص 150.

(3) نفس المصدر ، ص 145.

إلى عمر بن الخطاب ، فلم يجدوه في منزله ، فقيل لهم هو في المسجد ، فأتوه وإذا هو ليس عنده حرس ولا أحد فقالوا " هذا هو الملك والله إلا ملك كسرى " [1] .

ولكي يُعرِّف نفسه قدرها - كما ظن - وقف يوماً بين المسلمين يعلن أنه لم يكن إلا راعي غنم، يرعى لخالات له من بني مخزوم يقول محمد بن عمر المخزومي عن أبيه: نادى عمر بن الخطاب بالصلاة جامعة فلما اجتمع الناس وكبروا، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال: أيها الناس: لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي قبضة من التمر أو الزبيب فأظل يومي وأي يوم!! ثم نزل فقال له عبد الرحمن ابن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن قمّأت نفسك - عبْتَ - فقال: ويحك يا ابن عوف!! إني خلوت فحدثتني نفسي، قال: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك؟! قال إني أردت أن أعرفها نفسها وفي رواية: إني وجدت في نفسي شيئاً، فأردت أن أطأطئ منها[2].

وعن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر ، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذبح للعباس فرخان ، فلما وافى الميزاب صُبّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثياباً غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ? فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ، ففعل ذلك العباس[3].

---

(1) نفس المصدر ، ص 146.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد 3/ 293.

(3) صفة الصفوة لابن الجوزي ، 1/ 285.

وعن الحسن البصري قال: خرج عمر رضي الله عنه في يوم حارّ واضعاً رداءه على رأسه، فمرَّ به غلام على حمار، فقال: يا غلام، احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا، اركب وأركب أنا خلفك، تريد تحملني على المكان الوطئ، وتركب أنت على الموضع الخشن، فركب خلف الغلام، فدخل المدينة، وهو خلفه والناس ينظرون إليه[1].

وعن سنان بن سلمة الهذلي قال: خرجت مع الغلمان ونحن نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه الدُرَّة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، قال: وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته، فقلت:يا أمير المؤمنين، هذا ما تلقي الريح، قال: فنظر إليه في إزاري فلم يضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين، الغلمان الآن بين يديَّ، وسيأخذون ما معي، قال كلا، امش قال فجاء معي إلى أهلي.

وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : وفد ناس من أهل الكوفة وناس من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : فلما نزلوا المدينة تحدث القوم بينهم إلى أن ذكروا أبا بكر وعمر ، ففضل بعض القوم أبا بكر على عمر ، وفضل بعض القوم عمر على أبي بكر ، وكان الجارود بن المعلى ممن فضل أبا بكر على عمر . فجاء عمر ومعه درته فأقبل على الذين فضلوه على أبي بكر ، فجعل يضربهم بالدرة حتى ما يتقي أحدهم إلا برجله ، فقال له الجارود : أفق أفق يا أمير المؤمنين فإن الله عز و جل لم يكن يرانا نفضلك على أبي بكر ، وأبو بكر أفضل منك في كذا وأفضل منك في كذا . فسري عن عمر ثم انصرف . فلما كان من العشي صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير ذلك بعد مقامي هذا فهو مفتر عليه ما على المفتري [2].

---

(1) أخبار عمر ، ص343.

(2) اسد الغابة : ج1 ص645.

إن هذا الخلق الكريم لعمر بن الخطاب هو الذي حقق بلا شك العدالة الإجتماعية في عصره فيجب على حكام المسلمين أن يقرأوا تاريخ الأمة ، ويتعلموا من تاريخ عظماء الإسلام أمثال عمر وغيره ، لكي يتحقق للناس ما يريدونه من حريات وكرامة ومجد وسؤدد.

حلمه ورفقه

خلق الحلم والرفق من أهم الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المؤمن لاسيما الحاكم ، فالحاكم إذا كان يتمتع بالرفق والحلم كسب قلوب الرعية ، وعمر بن الخطاب كان من هذا النوع ، فحلمه على الناس ورفقه بهم ، جعل الناس يشعرون بالعدالة الاجتماعية في عهده ، فروي أنه قدم المدينة رفقه من تجار فنزلوا بجوار المدينة ، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك في أن نحرسهم الليلة ؟ قال : نعم ، فباتا يحرسانها ويصليان فسمع عمر بكاء صبي ، فتوجه نحوه فقال لأمه اتقي الله وأحسني إلى صبيك ، ثم عاد إلى مكانه لكن الطفل لم يكف عن البكاء ، فأتى إلى أمه فقال لها : ويحك إنك أم سوء مالي أرى إبنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ فقالت يا عبد الله : إني اشغله عن الطعام فيأبى ذلك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم ، وكان عمر قد فرض لكل مفطوم رزقا أو عطاء ، قال : وكم عمر ابنك هذا ؟ قالت : كذا وكذا شهرا ، فقال : ويحك لا تعجليه عن الفطام ، فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء ، قال بؤسا لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديه فنادى منادي ، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق . [1]

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج7، ص 140.

بل رأى المعاناة التي تعانيها نساء وزوجات الصحابة المجاهدين ، من جراء غياب أزواجهن مدة كبيرة في ميادين القتال ، فمر يوما في طرقات المدينة ، يتفقد أحوال الناس فسمع امرأة تقول في ضيق شديد

تطاول هذا الليل تسري كواكبه وأرقني أن لا ضجيع ألاعبه

ألاعبه طورا وطورا كأنما بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره لحرك من هذا السرير جوانبه

فقال عمر يرحمك الله ، ثم أرسل إليها بكسوة ونفقة ، وكتب لزوجها بالقدوم إليها ، ثم سأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة على فراق زوجها ، فقالت شهرا أو شهرين أقصاها أربعة ، فكتب بأن لا تغيب الجيوش أربعة أشهر رحمة بالنساء والأولاد . [1]

وروي عن أسلم مولى عمر بن الخطاب أنه قال : خرج عمر إلى حرة واقم وأنا معه ، حتى إذا كنا بصرار ، إذا نار تؤرث – أي تشتعل – قال : يا أسلم إني أرى هاهنا ركبانا قصر بهم الليل والبرد ، انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار ، وصبيانها يتضاغون أي يتصايحون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أهل الضوء، وكره أن يقول : يا أصحاب النار ، فقالت وعليكم السلام ، فقال : أأدنوا ؟ فقالت : إدن بخير أو دع ، فدنا منها ، فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد ، قال وما بال هؤلاء الصبية يصرخون ؟ قالت : الجوع ، قال : وأي شيء في هذا القدر ؟

قالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر ، فقال : أي رحمك الله ، وما يدري عمر بكم ؟ قالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ، فأقبل عليَّ فقال : انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلا من دقيق ، وكبة شحم ، وقال :

---

(1) ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص 89.

احمله عليَّ ، قلت : أنا أحمله عنك ، قال : أأنت تحمل أوزاري عني يوم القيامة ، لا أم لك ؟ فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول ، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا ، فجعل يقول لها ، ذري علي أنا أحُرُّ لك ، وجعل ينفخ تحت القدر ، فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته ، حتى طبخ لهم ثم أنزلها ، وقال : أبغيني شيئا فأتته بصحفة فأفرغها فيها ، فجعل يقول لها ، أطعميهم وأنا أسطح لهم – أي أبسطه حتى يبرد – فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها فضل ذلك وقام وقامت معه ، فجعلت تقول جزاك الله خيرا ، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين ، فيقول قولي خيرا ، إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله ، ثم أقبل على أسلم فقال يا أسلم: إن الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت [1].

ومن صور حلمه رضي الله عنه أنه كان لا يثور إذا اشتد عليه أحد من الناس في النصيحة ، بل كان يحلم عليه ولا ينكل به ، وذلك فيما روي عن علي بن رباح عن ناشرة بن سمي اليزني قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول يوم الجابية وهو يخطب : " إني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد ؛ إني أمرته أن يحبس هذا المال على المهاجرين ، فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان فنزعته وأثبت أبا عبيدة بن الجراح ، فقام أبو عمرو بن حفص فقال : والله ما عدلت يا عمر ؛ لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه و سلم ،وغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه و سلم ووضعت لواء نصبه رسول الله صلى الله عليه و سلم ولقد قطعت الرحم . وحسدت ابن العم فقال عمر : " إنك قريب القرابة حديث السن مغضب في ابن عمك [2] .

(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج2 ، ص 214

(2) اسد الغابة : ج1 ، ص33، ترجمة أحمر بن سواء.

إن هذه الرعاية الكبيرة واللين والرحمة والرفق من جانب الخليفة لفقراء المسلمين ، حقق بقدر كبير العدالة الاجتماعية في عصره ، فاهتمامه بشئون الناس وإصراره على أن يقوم هو بخدمتهم ، والسعي في قضاء حوائجهم ، لينم عن حلم عمر ورفقه بالضعفاء ، وأن الحاكم الجيد هو الذي يشعر بنبض الشارع ومشاكل شعبه ، فيقوم هو بحلها ومتابعتها ، ليس عـــن طريق
تقارير ترفع إليه تبين له أن الناس يعيشون على مهاد السعادة دون خوف أو وجل ، دون جوع أو مرض ، دون أدنى مشاكل تعكر صفو حياتهم ، إلا أن هذا هو الواقع الذي نعيشه اليوم.

ورعه رضي الله عنه

ضرب عمر بن الخطاب المثل في الورع والعفة عن أموال المسلمين ، والترفع عن الدنيا ومتاعها ، وفي ذلك يقول الأحنف بن قيس سمعت عمر يقول : لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين ، حلة في الشتاء وحلة للصيف وما حج به واعتمر ، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ، ثم أنا رجل من المسلمين . [1]

وبلغ من ورعه أنه كان يخشى عذاب المولى عز وجل ، فقال يوما : لو نادى مناد من السماء : أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلا واحدا ، لخفت أن أكون هو، ولو نادى مناد أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلا واحد لرجوت أن أكون هو . [2]

---

(1) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج3 ، ص 266.

(2) الأصفهاني : المصدر السابق ، ج1، ص 53.

قال : يقال ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين ، يا عبد الله بن عمر: أغد على رأس مالك واجعل باقيه في بيت مال المسلمين [1].

لقد حافظ رضي الله عنه بذلك الفعل على ماء وجهه وأهل بيته أمام الناس ، حتى لا يظنون أن عمر يستغل منصبه كخليفة للمسلمين ، فيرتع هو وأبنائه في الاستحواذ على أموالهم وعلي الامتيازات التي تجعل منهم مميزين عن بقية الرعية .

وروي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : قدم على عمر بن الخطاب مسك وعنبر من البحرين ، فقال عمر : والله لوددت أن آخذ امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أفرقه بين المسلمين ، فقالت له امرأته عاتكة: أنا جيدة الوزن فهلم أزن لك قال : لا ، قالت ولم ؟ قال : أخشى أن تأخذيه هكذا فتجعليه هكذا ، وأدخل إصبعيه في صدغيه – تمسحين به عنقك فأصيب فضلا عن المسلمين [2].

وقسم عمر بن الخطاب مروطا بين نساء أهل المدينة ، فبقي منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين: أعط هذا بنت رسول الله التي عندك ، يريدون أم كلثوم بنت علي – فقال عمر أم سليط أحق به ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله وكانت تزفر لنا القرب يوم أحد [3].

وروي أنه لم ترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه ، وسير إليه عمر الرسل مع البريد، بعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم ، بطيب ومشارب وأحناش من أحناش النساء ، ودسته في البريد ، فأبلغه لها فأخذته منه ، وجاءت

---

(1) ابن الجوزي : مناقب عمر بن الخطاب ، ص 150.

(2) ابن الجوزي : السابق ، ص 150.

(3) نفس المصدر ، ص 151.

امرأة قيصر فجمعت نساءها وقالت : هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم ، وكاتبتها وأهدت لها ، وفيما أهدت لها عقد فاخر ، فلما انتهى به البريد إليه، أمر بإمساكه ونادى الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين وقال : إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى من أموري ، قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم فقال : قائلون هو لها بالذي لها ، وليست امرأة الملك بذمية فتصانع به ، ولا تحت يديك فتبقيك ، وقال آخرون : قد كنا نهدي الثياب لنستتيب ونبعث بها لتباع ولنصيب شيئا ، فقال : ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم ، والمسلمون عظموها في صدرها ، فأمر بردها إلى بيت المال ورد عليها بقـــدر نفقتها [1].

إن زهد الحكام في أموال رعاياهم ، يجعل رعاياهم يشعرون بعدم الخوف من مستقبلهم ومستقبل أبنائهم ، لأنهم يعيشون تحت مظلة العدالة ، ويحكمهم من يخاف الله عز وجل من أن يأخذ شيئا ليس من حقه ، وأيضا يأمن الناس في عصره ، على حقوقهم المشروعة ، والتي حرم منها الناس في عصرنا ، فقد حرم الناس من أدنى حق لهم ، وهو حق المعيشة الكريمة ، فتأزمت حياة الناس وصدَّر إليهم الحكام الأزمات تلو الأزمـــات ، حتى يظـــل الناس في ذلة ومهانة ويزداد الحاكم فحشا وغنا ، ويزداد الناس فقرا وجوعا ومرضا ، هكذا هي سياسة حكام المسلمين اليوم ، الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فوكلهم إلى أنفسهم والشيطان والهوي ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا أنهم مخلدون .

---

(1) الصلابي : المرجع السابق ، ص 153.